

وَقَدْ ظَهَرَ سُرُّ هَذَا التَّعْصِيلُ وَالْاِخْتِصَاصُ فِي اِنْجِدَابِ الْأَفْنَدَةِ، وَهُوَ الْفَلُوبُ وَانْعَطَافُهَا وَمَحْبَبُهَا لِهَذَا الْبَلَدِ الْأَمْيَنِ، فَجَذْبُهُ لِلْفُلُوبِ أَعْظَمُ مِنْ جَذْبِ الْمُعْنَاطِيْسِ لِلْحَدِيدِ، فَهُوَ الْأَوَّلُ بِقَوْبِ الْقَاتِلِ:

محاسِنُهُ هَيُولَى كُلَّ حُسْنٍ وَمُعْنَاطِيْسُ أَفْنَدَهُ الرِّجَالِ

وَلِهَذَا أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ مَنَّاهُ لِلنَّاسِ، أَيْ: يَثْبُونَ إِلَيْهِ عَلَى تَعَاقِبِ الْأَعْوَامِ مِنْ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ، وَلَا يَقْضُونَ مِنْهُ وَطَرًا، بَلْ كُلَّمَا ازْدَادُوا لَهُ زِيَارَةً ازْدَادُوا لَهُ أَشْتِيَافًا.

لَا يَرْجِعُ الْطَّرْفُ عَنْهَا حِينَ يَنْظُرُهَا حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهَا الْطَّرْفُ مُشْتَاقًا

فَلَلَّهُ كُمْ لَهَا مِنْ قَبْلِيْ وَسَلِيبٍ وَجَرِيحٍ، وَكُمْ أَنْفَقَ فِي حُبِّهَا مِنْ الْأَمْوَالِ وَالْأَرْوَاحِ، وَرَضِيَ الْمُجْبُ بِمُفَارِقَةِ فَلَذِ الْأَكْبَادِ وَالْأَهْلِ وَالْأَحْبَابِ وَالْأُوْطَانِ، مُعْدِمًا بَيْنَ يَدِيهِ أَنْوَاعَ الْمُخَالِفِ وَالْمُتَالِفِ وَالْمُعَافِ وَالْمُشَاقِ.

الشيخ: الله أكبر، يعني: يترك أهله وأولاده في المكان البعيد؛ شوقًا لبلاد الله الحرام، وأداء النسك هناك؛ لعلمه بأن الله يحب ذلك؛ لأن الله شرع ذلك، ففيهدار ويسارع إلى ذلك من البلاد البعيدة؛ تاركًا فلاذ كده، وهو أولاده، تاركًا أهله، تاركًا وطنه وأصحابه وأقرباءه من أجل حب الله ورسوله، والرغبة فيما شرع الله من زيارة هذا المكان المبارك، وأداء الأنساك فيه، والله أكبر.

وَهُوَ يَسْتَلِدُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَيَسْتَطِيْهُ، وَيَرَاهُ لَوْ ظَهَرَ سُلْطَانُ الْمَحَبَّةِ فِي قَلْبِهِ- أَطْبَبَ مِنْ نَعْمَ الْمُتَحَبِّيْةِ وَتَرَفُّهُمْ وَلَذَاتِهِمْ.

الشيخ: لعلها: المتخلية، يعني: الذين تخروا في البلاد، لم يسافروا البلد الحرام لعلها: المتخلية.

الطالب:الشيخ: تخلَّى عن السفر: تجرد عن السفر، وبقي في بلده للنعم والترف، بدلاً من السفر إلى بلد الله الحرام، فهو يرى في مشايفه وتعبه في الطريق أنه أفضل وأطيب له من اللِّيْمَعِ التي تحصل للمخالفين والمتخلين عن السفر، والله المستعان.

وَلَيْسَ مُحَبًّا مِنْ يَعْدُ شَعَاءَ عَذَابًا إِذَا مَا كَانَ يَرْضِي حَبِيبَهُ

الشيخ: لا يعده عذاباً إذا كان شقاوه وتعبه يرضي حبيبه، وهو الله سبحانه.

وَهَذَا كُلُّهُ سُرُّ إِضَافَتِهِ إِلَيْهِ [يُقَوْلُهُ: وَطَهَرَ بَيْتِي] [الحج: 26]، فَاقْتَضَتْ هَذِهِ الْإِضَافَةُ الْخَاصَّةُ مِنْ هَذَا الْإِحْلَالِ وَالتَّغْيِيرِ وَالْمَحَبَّةِ مَا اقْتَضَيَهُ، كَمَا اقْتَضَتِ إِضَافَةُ يَعْبُدُهُ وَرَسُولِهِ إِلَى نَفْسِهِ مَا اقْتَضَيَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ إِضَافَةُ عِبَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ كَسْتَهُمْ مِنَ الْجَلَلِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْوَقَارِ مَا كَسْتَهُمْ.

فَكُلُّ مَا أَصَافَهُ الرَّبُّ تَعَالَى إِلَى نَفْسِهِ فَلَهُ مِنَ الْمَرْيَةِ وَالْاِخْتِصَاصِ عَلَى غَيْرِهِ مَا أُوْجَبَ لَهُ الْاِصْنَافِ وَالْاجْتِيَاءِ، ثُمَّ يَكُسُوُهُ بِهَذِهِ الْإِضَافَةِ تَفْضِيلًا أَخْرَ، وَتَحْصِيصًا وَجَلَالًا رَائِدًا عَلَى مَا كَانَ لَهُ قَبْلَ الْإِضَافَةِ.

وَلَمْ يُوْقَنْ لِفَهُمْ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ سَوَى بَيْنِ الْأَعْيَانِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَرْمَانِ وَالْأَمَاكِنِ، وَرَعَمَ أَنَّهُ لَا مَرْيَةَ لِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَى شَيْءٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مُجَرَّدُ التَّرْجِيحِ بِلَا مُرْجَحٍ.

وَهَذَا القُولُ بَاطِلٌ بِأَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعِينَ وَجْهًا قَدْ ذُكِرَتْ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَيَكُونُ تَصْوِيرُ هَذَا الْمَدْهُبِ الْبَاطِلِ فِي فَسَادِهِ، فَإِنَّ مَدْهُبَهَا يَقْضِي أَنَّهُنَّ نَوَاتُ الرَّسُولِ كَنَوَاتٍ أَعْدَاهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا التَّقْضِيَّ بِأَمْرٍ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْاِخْتِصَاصُ الْذَّوَاتِ بِصِفَاتٍ وَمَرَاجِعًا لَا تَكُونُ لِغَيْرِهَا، وَكَذَلِكَ تَقْسُمُ الْبَيْقَاعُ وَاحِدَةً بِالْدَّاَتِ، لَبَسَ لِبَقْعَةٍ عَلَى لِبَقْعَةٍ مَرَيَّةَ الْبَيْتِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِمَا يَقْعُدُ فِيهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ، فَلَا مَرَيَّةَ لِلِبَقْعَةِ الْبَيْتِ، وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، وَمَنْيَى، وَعَرْفَةُ، وَالْمَسَايِّرُ عَلَى أَيِّ بَقْعَةٍ سَمَّيَتِهَا مِنَ الْأَرْضِ، وَإِنَّمَا التَّعْصِيلُ بِاعْتِيَارٍ أَمْرٍ خَارِجٍ عَنِ الْبَقْعَةِ لَا يَعُودُ إِلَيْهَا، وَلَا إِلَى وَصْفِ قَائِمٍ بِهَا.

وَالله أَنْدَرَ هَذَا القُولَ الْبَاطِلَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَإِذَا جَاءَتْهُمْ أَيَّةٌ قَلُوا لَنْ تُؤْمِنَ حَتَّى تُؤْتَى مِثْلُ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ، قَالَ الله تَعَالَى: الله أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رَسَالَتَهُ [الأنعام: 124] أَيْ: لَيْسَ كُلُّ أَهْلًا وَلَا صَالِحًا لِتَحْمُلِ رَسَالَتِهِ، بَلْ لَهَا مَحَالٌ مَخْصُوصَةٌ لَا تَنْتَقِلُ إِلَّا بِهَا، وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا أَهْلًا، وَالله أَعْلَمُ بِهَذِهِ الْمَحَالِ مِنْهُمْ، وَلَوْ كَانَتِ الْذَّوَاتُ مُتَشَابِهَةً كَمَا قَالَ هُوَ لَاءٌ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ رَدُّ عَلَيْهِمْ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَكَذَلِكَ فَتَنَا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهُؤُلَاءِ مَنْ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا لَئِسَ اللَّهُ بِأَعْلَمُ بِالشَّاكِرِينَ [الأنعام:53] أَيْ: هُوَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يَسْكُرُهُ عَلَى نِعْمَتِهِ، فَيُخَصُّهُ بِغَضْلِهِ، وَيَمْنُ عَلَيْهِ، مِمَّنْ لَا يَسْكُرُهُ، فَلَئِسَ كُلُّ مَخْلُوقٍ بِسُلْطَنٍ لِشُكُرِهِ، وَاحْتِمَالِ مِنْتِهِ، وَالْتَّحْصِيصُ بِكَرَمَتِهِ.

فَذَوَاتُ مَا احْتَارَهُ وَاصْطَفَاهُ مِنَ الْأَعْيَانِ وَالْأَمَكْنَ وَالْأَشْخَاصِ وَغَيْرُهَا مُشْتَدَّةٌ عَلَى صِفَاتٍ وَأُمُورٍ قَائِمَةٌ بِهَا أَلْيَسْ لِغَيْرِهَا، وَلَأَجْلَهَا اصْطَفَاهَا اللَّهُ، وَهُوَ سُبْحَانُهُ الَّذِي فَضَلَّهَا بِتِلْكَ الصِّفَاتِ، وَحَصَّهَا بِالْأَخْتِيَارِ، فَهَذَا خَلْقُهُ، وَهَذَا اخْتِيَارُهُ: وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ [القصص:68].

وَمَا أَبَيَنَ بُطْلَانَ رَأْيِي يَعْضِي بِأَنَّ مَكَانَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ مُسَاوٍ لِسَانِرِ الْأَمْكَنَةِ، وَذَاتِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ مُسَاوِيَةً لِسَانِرِ حِجَارَةِ الْأَرْضِ، وَذَاتِ رَسُولِ اللَّهِ مُسَاوِيَةً لِذَاتِ غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا التَّقْضِيَّ فِي ذَلِكَ بِأَمْرِهِ خَارِجٌ عَنِ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ الْقَائِمَةِ بِهَا.

وَهَذِهِ الْأَقْوَيْلُ وَأَمْثَالُهَا مِنَ الْجِنَانَاتِ الَّتِي جَنَّاها الْمُكْنَلُونَ عَلَى الشَّرِيعَةِ وَتَسْبُوُهَا إِلَيْهَا، وَهِيَ بِرِيَّةُ مِنْهَا، وَلَئِنْ مَعَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ اشْتِرَاكِ الدَّوَاتِ فِي أَمْرٍ عَامٍ، وَذَلِكَ لَا يُوجِبُ شَتَّاوِيهَا فِي الْحَقِيقَةِ؛ لِأَنَّ الْمُخْتَلِفاتِ قَدْ تَسْتَرُّ فِي أَمْرٍ عَامٍ مَعَ اخْتِلَافِهَا فِي صِفَاتِهَا التَّقْصِيَّةِ، وَمَا سَوَّى اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ ذَاتِ الْمِسْكِ وَذَاتِ الْبَوْلِ أَبْدًا، وَلَا بَيْنَ ذَاتِ الْمَاءِ وَذَاتِ الْثَّارِ أَبْدًا.

وَالْتَّقْوَاتُ بَيْنَ الْأَمْكَنَةِ الْشَّرِيفَةِ وَأَضْدَادِهَا، وَالْدَّوَاتِ الْفَاضِلَةِ وَأَضْدَادِهَا أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الْتَّقْوَاتِ بِكَثِيرٍ، فَبَيْنَ ذَاتِ مُوسَى وَذَاتِ فَرِعَوْنِ مِنَ الْتَّقْوَاتِ أَعْظَمُ مِمَّا بَيْنَ الْمِسْكِ وَالرَّجِيعِ، وَكَذَلِكَ الْتَّقْوَاتُ بَيْنَ نَفْسِ الْكَعْبَةِ وَبَيْنَ بَيْتِ السُّلْطَانِ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الْتَّقْوَاتِ أَيْضًا بِكَثِيرٍ، فَكَيْفَ تُجْعَلُ الْبُقْعَاتُ سَوَاءً فِي الْحَقِيقَةِ، وَالْتَّقْضِيَّ يَأْغِيَّرُ مَا يَقُوْلُ هُنَّا مِنَ الْعِبَادَاتِ وَالْأَذْكَارِ وَالدَّعَوَاتِ؟!

وَلَمْ تَعْصِدْ اسْتِيَاعَ الرَّدِّ عَلَى هَذَا الْمَذَهَبِ الْمُزُودُ الْمُزْدُولُ، وَإِنَّمَا قَصَدَنَا تَصْنُوِيرُهُ، وَإِلَى الْلَّبِيبِ الْأَعْدِلِ الْعَاقِلِ التَّحَكُّمُ، وَلَا يَعْبُدُ اللَّهُ وَعِبَادَهُ بَعْيَرِهِ شَيْءٌ، وَاللَّهُ سُبْحَانُهُ لَا يُحَصِّصُ شَيْئًا وَلَا يُعَصِّلُهُ وَبِرِّجُهُ إِلَّا لِمَعْنَى يَقْضِيَ تَحْصِيصَهُ وَتَقْضِيَّهُ، تَعْمَلُ هُوَ مُعْطِي ذَلِكَ الْمَرْجَحَ وَوَاهِبُهُ، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُ، ثُمَّ احْتَارَهُ بَعْدَ خَلْقِهِ: وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ [القصص:68].

وَمِنْ هَذَا تَقْضِيَّهُ بَعْضُ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ عَلَى بَعْضِ.

الطالب: قال ابن الأثير في "النهاية": وَمِنْهُ حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ أَبْنِ الْحَمْراءِ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ وَهُوَ وَاقِفٌ بِالْحَرْوَرَةِ مِنْ مَكَّةَ. هُوَ مَوْضِعٌ بَهَا عَنْدَ بَابِ الْحَنَاطِينِ، وَهُوَ بُوزُنُ قَسْوَرَةِ.

قال الشافعي: النَّاسُ يُسْتَدِّونَ: الْحَرْوَرَةُ وَالْحَدِيَّةُ، وَهُمَا مُخْفَقَتَانِ.

قال ياقوت في "معجم البلدان": حَرْوَرَةٌ بِالفتحِ ثُمَّ السُّكُونِ، وَفَتحُ الْوَاءِ، وَرَاءُهُ، وَهَاءُهُ، وَهُوَ فِي الْلُّغَةِ الْرَّاهِيَّةِ الصَّغِيرَةِ، وَجَمِيعُهُمْ حَزاُرُ.

وقال الدارقطني: كذا صوابه، والمحذتون يفتحون الزياء ويشددون الواو، وهو تصحيف، وكانت الحزورة سوق مكة، وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه، وفي الحديث: وقف النبي ﷺ بالحزورة، فقال: يا بطحاء مكة، ما أطييك من بلدة، وأحبتك إلى، ولو لا أن قومي آخر جوني منك ما سكنت غيرك.

الشيخ: كلام الدارقطني يقتضي بالتشديد، وقد يكون المحذتون أعلم من أئمة اللغة؛ لأنَّ المحذتون رووا عن شيوخهم إلى النبي ﷺ، الصحابة الذين خرجوا من مكة

وَمِنْ هَذَا تَقْضِيَّهُ بَعْضُ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ عَلَى بَعْضِ، فَخَيْرُ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمُ الْحَرْ، وَهُوَ يَوْمُ الْحَجَّ الْأَكْبَرِ، كَمَا فِي "السُّنْنَ" عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَفْضَلُ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمُ الْحَرْ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرْ.

الشيخ: أيس قال عليه المحسني؟

الطالب: كما في "السنن" و"مسند أحمد"، وهو، ويوم القرن هو الد من يوم النحر، وهو الحادي عشر لذى الحجة، لأنَّ الناس يقرون فيه بمنى؛ وذلك لأنهم قد بربوا من طواف الإفاضة والنحر، واستراحوا وقربوا.

والحديث أخرجه أبو داود في "الحج" باب قبل أن يبلغ، وأحمد من حديث عبد الله بن، وسنده صحيح، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

الشيخ: نعم، أيس عندكم: أفضل الأيام؟

كما في "السنن" عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَفْضَلُ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمُ الْحَرْ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرْ.

وقيل: يوم عرفة أفضل منه، وهذا هو المعروف عند أصحاب الشافعى، قالوا: لأنّه يوم الحج الأكبر، وصيامه يكفر سنتين، وما من يوم يعنى الله فيه الرقاب أكثر منه في يوم عرفة، ولأنه يدُنُو فيه من عباده، ثم يُباها ملائكته بأهل المؤقف.

والصواب القول الأول، لأن الحديث الحال على ذلك لا يعارضه شيء يقاومه، والصواب أن يوم الحج الأكبر هو يوم النحر، لقوله تعالى: وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر [التوبه:3].

وبَيْتَ فِي "الصَّحِيحَيْنِ" أَنَّ أَبَا بَكْرَ وَعَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَدَنَ بِذَلِكَ يَوْمَ النَّحْرِ، لَا يَوْمَ عَرْفَةَ.

وفي "سُنْنَةِ أَبِي دَاوُدَ" بِأَصْنَاعِ إِسْنَادٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: يَوْمُ الْحَجَّ الْأَكْبَرُ يَوْمُ النَّحْرِ، وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَجَمَاعَةُ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَيَوْمُ عَرْفَةَ مُقْدِمَةٌ لِيَوْمِ النَّحْرِ بَيْنَ يَدَيْهِ.

س: أيش معنى قوله: في أصح إسناد؟

ج: في رواية أبي داود إسنادها من أصح الأسانيد يعني، علق على قوله "في أصح إسناد" وإنما تعرض له؟ الطالب: قال: رواه أبو داود في "الحج": باب يوم الحج الأكبر، وابن ماجه في "المتناسك": باب الخطبة يوم عرفة، من حديث ابن عمر، وسنه صحيح، وعلقه البخاري في "صحيحه".

الشيخ: نعم.

وكذلك قال أبو هريرة وجماعة من الصحابة.

ويَوْمُ عَرْفَةَ مُقْدِمَةٌ لِيَوْمِ النَّحْرِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِنَّ فِيهِ يَكُونُ الْوُقُوفُ وَالنَّصْرَاعُ وَالثَّوَبَةُ وَالإِبْتَهَالُ وَالْإِسْقَالُ.

ثم يوم النحر تكون الوقفة والزيارة، ولهذا سمى طوافه: طواف الزيارة؛ لأنهم قد طهروا من ذنبهم يوم عرفة، ثم أين لهم ربهم يوم النحر في زيارة والدخول عليه إلى بيته؛ ولهذا كان فيه ذبح القرابين، وحلق الرؤوس، ورمي الجamar، ومعظم أفعال الحج، وعمل يوم عرفة - كالظهور والإغتسال- بين يديه هذا اليوم.

وكذلك تفضيل عشر ذي الحجة على غيره من الأيام، فإن أيامه أفضل الأيام عند الله، وقد ثبت في "صحيح البخاري" عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: ما من أيام العمل الصالحة فيها أحبت إلى الله من هذه الأيام العشر، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء، وهي الأيام العشر التي أقسم الله بها في كتابه بقوله: والغجر ○ وليلي عشر [الفجر: 1-2].

الشيخ: وهذه الأيام فيها من الخير العظيم والفضل الكبير ما لا يخفى، فإن الله جعلها أيامًا عظيمةً: أيام تكبير، وأيام ذكر، وأيام عبادة، وأيام حضور لأداء الحج، فالحجاج يقدمون فيها، يتذمرون تقدمهم إلى يوم عرفة، وإلى يوم النحر بالقربات والأعمال الصالحة، ولهذا ثبت عنه أنه قال: ما من أيام العمل الصالحة فيها أحبت إلى الله من هذه الأيام يعني: العشر، وعاشرها هو يوم النحر، قالوا للنبي: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء.

جعل هذه الأيام أفضل الأيام، وعاشرها هو يوم النحر، وهو النهاية، وفيه تكون الفربات العظيمة: من الطواف، ونحر الهدايا، ورمي الجamar، وحلق الرؤوس؛ ولهذا جاء في هذا الحديث: يوم الحج الأكبر.

وهذه الأيام عظيمان، ثم يوم القرآن، وهو الحادي عشر، اليوم الذي يقر الناس فيه في منى، فهي أيام عظيمة، عاشرها يوم النحر، وهو الذي أمر الله فيه بالأذان بين الناس أن الله ورسوله بريء من المشركين: وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله [التوبه:3].

وهذا يوم الحج الأكبر، وهو اليوم الأفضل، كما سمي يوم الحج الأكبر، ويوم عرفة له فضل عظيم: ففيه يقف الناس بين يدي الله، وقد وعد الله فيه بحط الخطايا، وعنق الرقاب من النار، فهذا له فضله، وهذا اختلف الناس في أيهما أفضل؟ فقال قوم: يوم عرفة أفضل، لأن فيه الوقوف، وهو أعظم الأركان، وفيه العتق من النار، وقد صح عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال: ما من يوم أكثر عنيقا من النار من يوم عرفة، وإن سبحانه ليباها بعباده الملائكة يقول: ما أراد هؤلاء؟ ليس هناك يوم في الدنيا أكثر عنيقا من النار من يوم عرفة؛ فلهذا قال جمّع من أهل العلم: إنه الأفضل.

وقال آخرون: إنه يوم النحر.

قال المؤلف: وهذا الأصح للأسباب التي ذكرها، وفي الحديث: أفضل الأيام يوم النحر، ثم يوم القر، فهذا يُبيّن لنا عظم شأن هذه الأيام، وأنها أيام عظيمة، وأيام مباركة، وأيام فاضلة، والتنس التي هي تسع ذي الحجة فيها شرعيّة أعمال كثيرة من الذكر والدعاء والصيام والإعداد للحج، فهي أيام فاضلة عظيمة.

وفي حديث ابن عمر: "ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب العمل فيها من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيها من التهليل والتحميد والتكبير"، فكان ابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما يخرجان في أيام العشر إلى السوق، يجولان في الأسواق ويكبران، وينذرون الناس بتكبرهما.

لكن يُشكل على هذا قوله: ثم يوم القراءة، فهذا هو محل الإشكال في غرابة متن الحديث؛ فإن المتبادر أن يوم النحر هو الأفضل، ثم يليه يوم عرفة لفضلة، وهذا ذكر يوم القراءة، فهو يحتاج إلى مزيد من التحقيق في هذا الحديث.

وَلِهُدًا يُسْحَبُ فِيهَا الْكُلُّ مِنَ الْكَبِيرِ وَالْهَلْلِيلِ وَالثَّمْمِيدِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَكْتُرُوا فِيهَا مِنَ التَّكْبِيرِ وَالْهَلْلِيلِ وَالثَّمْمِيدِ، وَنِسِّبُهَا إِلَى الْأَيَّامِ كُنْسِيَّةً مَوَاضِعَ الْمَنَاسِكِ فِي سَانِرِ الْبَقَاعِ.

وَمِنْ ذَلِكَ تُفَضِّلُ شَهْرَ رَمَضَانَ عَلَى سَائِرِ الشُّهُورِ، وَتُفَضِّلُ عَشَرَهُ الْآخِرِ عَلَى سَائِرِ الْلَّيَالِي، وَتُفَضِّلُ لَيْلَةَ الْقُدرِ عَلَى الْفِسْرَهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ الْعَشْرِينِ أَفْضَلُ؟ عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ، أَوِ الْعَشْرُ الْآخِرُ مِنْ رَمَضَانَ؟ وَأَيُّ الْلَّيْلَتَيْنِ أَفْضَلُ؟ لَيْلَةُ الْقُدرِ، أَوْ لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ؟

فَلْتُ: أَمَا السُّؤالُ الْأَوَّلُ فَالصَّوَابُ فِيهِ أَنْ يَقَالُ: لِيَلَى الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْ لِيَلَى عَشْرِ ذِي الْحِجَةِ، وَأَيَّامُ عَشْرِ ذِي الْحِجَةِ أَفْضَلُ مِنْ أَيَّامِ عَشْرِ رَمَضَانَ، وَبِهَذَا التَّقْسِيلِ يَرُولُ الْإِشْتِيَاهُ، وَيَدْلُ عَلَيْهِ أَنَّ لِيَلَى الْعَشْرِ مِنْ رَمَضَانَ إِنَّمَا فُضِّلَتْ بِاعْتِيَارِ لَيْلَةِ الْقُدرِ، وَهِيَ مِنَ الْلَّيَالِي، وَعَشْرُ ذِي الْحِجَةِ إِنَّمَا فُضِّلَ بِاعْتِيَارِ أَيَّامِهِ، إِذْ فِيهِ يَوْمُ الْخَرْ، وَيَوْمُ عَرْفَةَ، وَيَوْمُ التَّرْوِيَةِ.

الشيخ: وهذا هو الأرجح: أيام عشر ذي الحجة أفضل بفضلها وما فيها من الخير العظيم، هي أفضل: تاسعها وعاشرها هما أفضل العشر، وأيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام رمضان، وليلالي العشر الأخيرة من رمضان أفضل الليليات؛ لأنَّ فيها ليلة القدر، وهي خيرٌ من ألف شهر.

س:.....؟

ج: الإقسام بالليل، ما هو بالنهاي، هي أفضل الليالي؛ لما فيها من ليلة القدر، والقسم لا يلزم منه التفضيل، إنما التفضيل لأجل ما فيها من ليلة القدر، وما فيها من الخير العظيم، والعتق من النار، والقسم ما يدل على فضلٍ خاصٍ، قد أقسم بالشمس، وأقسم بالقمر، وأقسم بالتيين والزيتون، وإنما الكلام من أدلة أخرى غير القسم.

وَهَذَا بَدْلٌ عَلَى أَنَّ الْمُقْسَمَ مِنَ الْأَيَّاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَاسْتِحْقَاقِهِ الْعِدَادِ [١]

وَأَمَّا السُّؤَالُ الثَّانِي: فَقَدْ سُئِلَ شِيخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَیْمیَةَ رَحْمَهُ اللَّهُ عَنْ رَجُلٍ قَالَ: لَیْلَةُ الْإِسْرَاءِ أَفْضَلُ مِنْ لَیْلَةِ الْقَدْرِ. وَقَالَ آخَرُ: بْلَ لَیْلَةُ الْقَدْرِ أَفْضَلُ. فَلِمَّا مُصْبَطُ؟

فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْمُحْمَدَ مِنْ أَوْلَيَ الْأَوْلَى

الشيخ: يعني: شيء يضطر العقول ويضطر الأفهام إلى التسليم له والإيمان به، لما جاء في ليلة القدر من الفضل العظيم بنص القرآن، ونص السنة، أما جنس الليلة التي أسرى فيها شئ، فهـي لا تفضل، وإنما فضلها لكون الرسول أسرى به إلى المسجد الحرام، ثم عرج به إلى السماء، فلها فضل خاصٌ به عليه الصلاة والسلام، وليس للأمة في شيء يخصّهم، بل أعطاه الله هذا الفضل، وجعلها ليلة بالنسبة إليه مباركة، وبالنسبة للأمة البركة بما أعطاه الله من الوحـي والإـنزـال.

وأما ليلة القدر فجعلها للأمة: فيها تتبعد، وفيها يعثرون من النار، خصّها بفضلٍ عظيمٍ للأمة كلها، أما ليلة الإسراء فشيء خصّ الله به نبيه ﷺ دون بقية الأنبياء، وأسرى به في تلك الليلة، ثم عرج به إلى السماء، فليست مما جعل للأمة التَّعبد فيها، ولم يشرع لهم التَّعبد فيها، بل تخصيصها بعبادة بدعة، لا دليل عليه.

هذا إذاً كانت ليلة الإسراء تُعرف عينها، فكانت ولم يقُم دليلاً معلوماً لا على شهرها، ولا على عيدها، بل النّفول في ذلك مقطوعةٌ مُختلفةٌ، ليس فيها ما يُقطع بِهِ، ولا شرع للمُسلمين تخصيص الليلة التي يُظنُّ أنها ليلة الإسراء بِقيامٍ ولا غيره، بخلاف ليلة القدر؛

فَإِنَّهُ قَدْ تَبَثَتْ فِي "الصَّحِيحَيْنِ" عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: تَحْرُرُ لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ فِي الْعُشْرِ الْأُوَخْرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَفِي "الصَّحِيحَيْنِ" عَنْ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ قَامَ لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْسَابًا غُفرَ لَهُ مَا تَعَدَّ مِنْ ذَنْبِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، وَأَنَّهُ أَنْزَلَ فِيهَا الْقُرْآنَ.

وَإِنْ أَرَادَ أَنَّ الْلَّيْلَةَ الْمُعِينَةَ الَّتِي أَسْرَى فِيهَا بِالنِّيلِيَّةِ وَحَصَلَ لَهُ فِيهَا مَا لَمْ يَحْصُلْ لَهُ فِي غَيْرِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُشَرِّعَ تَحْصِيصُهَا بِقِيَامِ وَلَا عِبَادَةٍ، فَهَذَا صَحِيحٌ، وَلَيْسَ إِذَا أَعْطَى اللَّهُ نِيلِيَّةً فَضْبِيلَةً فِي مَكَانٍ أَوْ زَمَانٍ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الرَّمَانُ وَالْمَكَانُ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُكَانَاتِ وَالْأَزْمَنَةِ.

هَذَا إِنَّا قُرِئَ أَنَّهُ قَامَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ إِنْعَامَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ لِلَّيْلَةِ الْإِسْرَاءِ كَانَ أَعْظَمُ مِنْ إِنْعَامِهِ عَلَيْهِ بِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ التَّعْمِمِ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِهَا.

وَالْكَلَامُ فِي مِثْلِ هَذَا يَحْتَاجُ إِلَى عِلْمٍ بِحَقَائِقِ الْأَمْوَرِ، وَمَقَابِرِ التَّعْمِمِ الَّتِي لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِوَحْيٍ، وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِيهَا بِلَا عِلْمٍ، وَلَا يُعْرَفُ عَنْ أَكْدِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ جَعَلَ لِلَّيْلَةِ الْإِسْرَاءِ فَضْبِيلَةً عَلَى غَيْرِهَا، لَا سِيمَا عَلَى لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ، وَلَا كَانَ الصَّحَابَةُ وَالثَّالِثُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ يَقْصِدُونَ تَحْصِيصَ لِلَّيْلَةِ الْإِسْرَاءِ بِأَمْرِ مِنَ الْأَمْوَرِ.

.....

وَلَا يَذَكُرُونَهَا؛ وَلِهَا لَا يُعْرَفُ أَيُّ لِلَّيْلَةِ كَانَتْ، وَإِنْ كَانَ الْإِسْرَاءُ مِنْ أَعْظَمِ فَضَائِلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ هَذَا فَلَمْ يُشَرِّعْ تَحْصِيصُ ذَلِكَ الرَّمَانَ وَلَا ذَلِكَ الْمَكَانَ بِعِبَادَةٍ شُرُعَةٍ، بَلْ غَارَ جَرَاءَ الْذِي ابْتُؤَى فِيهِ بِتُرُولِ الْوَحْيِ -وَكَانَ يَتَحَرَّأُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ- لَمْ يَقْصِدْهُ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ مُدْهَ مَقَامَهُ بِمَكَانٍ، وَلَا خُصُّ الْيَوْمُ الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْوَحْيَ بِعِبَادَةٍ وَلَا خُصُّ الْمَكَانُ الَّذِي ابْتُؤَى فِيهِ بِالْوَحْيِ وَلَا الرَّمَانُ بِشَيْءٍ.

وَمَنْ خُصَّ الْأَمْكَنَةُ وَالْأَزْمَنَةُ مِنْ عِنْدِهِ بِعِبَادَاتٍ لِأَجْلِ هَذَا وَأَمْتَلِهِ كَانَ مِنْ جِنْسِ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ جَعَلُوا زَمَانَ أَخْوَالِ الْمُسِبِّحِ مَوَاسِيمَ وَعِبَادَاتٍ: كَيْوَمُ الْمِيلَادِ، وَيَوْمُ التَّعْمِيدِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَخْوَالِهِ.

وَقَدْ رَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابَ جَمَاعَةً يَبْتَدِرُونَ مَكَانًا يَصْلُونَ فِيهِ، فَقَالَ: "مَا هَذَا؟" قَالُوا: مَكَانٌ صَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: "أَتَرِيدُونَ أَنْ تَتَخَذُوا أَكْلَارَ أَبْيَالَكُمْ مَسَاجِدًا؟! إِنَّمَا هَذَا مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا، فَمَنْ أَنْزَكَهُ فِيهِ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ، وَإِلَّا فَلِيَمْضِ.".

الشيخ: وهذا هو الحقُّ، ما فعله بعضاً الناس في الأردن أو في غيرها من تعظيم من رجب، ويُعلّلون أنها ليلة الإسراء والمعراج، وتحصيص ذلك، أو بصيام نهارها، أو بقيام ليلاًها، أو فيها الولام، كله باطل لا أصل له، ولم يحفظها المسلمون، فإنَّ الله أنساه إياها لحكمةٍ بالغةٍ، وما ورد لا يصح عن أهل العلم لم تعلم، بل أنسىها الناس، ولم يختصها النبيُّ بشيءٍ: لا بعِيادةٍ، ولا بغير عبادةٍ، وهكذا الصحابة لم يخصُّوها بشيءٍ، فدلَّ ذلك على أنَّ من خصَّ ليلة الإسراء بشيءٍ أو يومها بشيءٍ فقد ابتدع.

.....

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ: إِنَّ لِلَّيْلَةِ الْإِسْرَاءِ فِي حَقِّ النَّبِيِّ أَفْضَلُ مِنْ لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ، وَلِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَمَّةِ أَفْضَلُ مِنْ لِلَّيْلَةِ الْإِسْرَاءِ، فَهَذِهِ الْلَّيْلَةُ فِي حَقِّ الْأَمَّةِ أَفْضَلُ لَهُمْ، وَلِلَّيْلَةِ الْإِسْرَاءِ فِي حَقِّ رَسُولِ اللَّهِ أَفْضَلُ لَهُ.

فَإِنْ قِيلَ: فَأَيُّهُمَا أَفْضَلُ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ، أَوْ يَوْمُ عَرْفَةَ؟

فَقَدْ رَوَى أَبْنُ حِيَّا فِي "صَحِيحِهِ" مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: لَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغْرِبُ عَلَى يَوْمٍ أَفْضَلُ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ.

وَفِيهِ أَيْضًا حَدِيثُ أَوْسَ بْنِ أَوْسٍ: خَيْرٌ يَوْمٌ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ.

قِيلَ: فَذَهَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى تَقْصِيرِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ عَلَى يَوْمِ عَرْفَةِ، مُحْتَاجًا بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَحَكَى الْفَاضِلُ أَبُو يَعْلَى رَوَاهُ عَنْ أَحْمَدَ: أَنَّ لِلَّيْلَةِ الْجُمُعَةِ أَفْضَلُ مِنْ لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ.

وَالصَّوَابُ أَنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَفْضَلُ أَيَّامِ الْأَسْبُوعِ، وَيَوْمَ عَرْفَةَ وَيَوْمَ النَّحْرِ أَفْضَلُ أَيَّامِ الْعَامِ، وَكَذَلِكَ لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ وَلِلَّيْلَةِ الْجُمُعَةِ؛ وَلِهَا كَانَ لِوَقْفَةٍ الْجُمُعَةِ يَوْمَ عَرْفَةَ مُزَيَّةٌ عَلَى سَالِرِ الْأَيَّامِ مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدةٍ.

الشيخ: يعني: ليلة الجمعة أفضل ليلي الأسبوع، وليلة عرفة أعلاه أفضل ليلي السنة، هذا فيه نظر

وَالصَّوَابُ أَنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَفْضَلُ أَيَّامِ الْأَسْبُوعِ، وَيَوْمَ عَرْفَةَ وَيَوْمَ النَّحْرِ أَفْضَلُ أَيَّامِ الْعَامِ، وَكَذَلِكَ لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ وَلِلَّيْلَةِ الْجُمُعَةِ.

الشيخ: وهذا وجيه؛ فإنَّ يوم عرفة ويوم النحر و يوم القراء هي أفضل أيام العام؛ لهذا خصَّها الله بأشياء من المزايا: يوم عرفة فيه أعظم أركان الحج، وهو الوقوف بعرفة، و يوم النحر فيه أعمال الحج، و يوم القراء فيه بقية أعمال الحج، كما جاء في الحديث الثاني يوم النحر، ثم يوم القراء، ذكر المؤلف هنا لكن تقدم.

أما أفضل الليالي على الإطلاق فهي ليلة القدر، هي خيرٌ من ألف شهر، هي أفضل الليالي، وأما كون ليلة الجمعة أفضل ليالي الأسبوع فهذا محل نظر، ومحتمل؛ لأنَّه لم يرد فيها فيما نعلم شيءٌ خاصٌّ يدلُّ على هذا المعنى، إلا أنَّ يُقال أيام الأسبوع كانت هي أفضل ليالي الأسبوع من جهة أنَّ الرسول نهى أن تخصل بشيءٍ لبيان فضلها وعظمتها، فهذا وجيه كما قال المؤلف هنا، ليس هناك نصٌّ فيما نعلم يدلُّ على أنها أفضل الليالي الأسبوع، وأما ليلة القدر فالنص فيها واضح، فهي أفضل الليالي على الإطلاق؛ لأنَّ الله جعلها خيراً من ألف شهر، فعلم بذلك أنها أفضل الليالي.

س: بعضهم يقول أنَّ ليلة المولد أفضل من ليلة القدر؟

ج: هذا منكر من القول، كلام قبيح.

ولهذا كان لوقت الجمعة يوم عرفة مزية على سائر الأيام من وجوده متعددة:

أحدُها: اجتماع المؤمنين اللذين هما أفضل الأيام.

الثاني: الله اليوم الذي فيه ساعة محققة الإجابة، وأكثر الأقوال أنها آخر ساعة بعد العصر، وأهل المؤمن كلُّهم إذ ذاك واقفون للدعاء والتضرع.

الثالث: موافقته ليوم وفاة رسول الله ﷺ.

الرابع: أنَّ فيه اجتماع الخلق من أقطار الأرض لخطبة وصلاة الجمعة، ويُوافق ذلك اجتماع أهل عرفة يوم عرفة بعرفة، فيحصل من اجتماع المسلمين في مساجدهم ومواقفهم من الدعاء والتضرع ما لا يحصل في يوم سواه.

الخامس: أنَّ يوم الجمعة يوم عيد، ويوم عرفة يوم عيد لأهل عرفة؛ ولذلك كُرِّه لمن بعرفة صومه، وفي التسائلي عن أبي هريرة قال: "نهى رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة بعرفة"، وفي إسناده نظر؛ فإنَّ مهدي بن حرب العبدى ليس بمعروف، ومداره عليه.

ولكن ثبت في الصحيح من حديث أم الفضل: أنَّ ناساً تمازفوا عندها يوم عرفة في صيام رسول الله ﷺ، فقال بعضهم: هو صائم، وقال بعضهم: ليس بصائم، فأرسلت إليه بفتح لبني و هو وافق على بغيره بعرفة فشربه.

الشيخ: أيس قال المحشى على حديث النبي عن صوم يوم عرفة؟

الطالب: رواه أبو داود في "الصيام": باب الصيام يوم عرفة، وأحمد، وسنده ضعيف؛ لجهالة مهدي بن حرب العبدى كما ذكر المصنف.

الشيخ: ليس بجيد، المعروف أنه لا بأس بإسناده، وقد استدركه ابن القيم، ولكن لا بأس بإسناده في هذا فيما أعلم لا بأس به، المعروف أنه لا بأس بإسناده، وهو حجة على كراهة صوم عرفة بعرفة، أو تحريمها بالنسبة إلى الحجاج، أما غير الحاج فيُسن لهم صيام يوم عرفة، وصيام يوم عرفة في غير الحج سنة وقربة، كما ذكر: يُكفر السنة التي قبله والتي بعده، أما في الحج فلا ينبغي للحجاج أن يصوموا؛ لأنَّهم الله جلَّ وعلا، وبين يديه، وإفطارهم يعنيهم على الدعاء والذكر والتضرع إلى الله 7؛ فلهذا نهوا عن صيام يوم عرفة بعرفة؛ وأنَّه صلى الله عليه وسلم وقف مُطرداً بعرفات، وشرب اللبن والناس ينظرون؛ ليعلموا أنه مفتر عليه الصلاة والسلام، فلأنَّ أحواله الكراهة، نعم.

وقد اختلف في حكم استحباب فطر يوم عرفة بعرفة: ففالت طائفتان: لينقى على الدعاء، وهذا هو قول الخرقى وغيره، وقال غيرهم منهُم شيخ الإسلام ابن تيمية. الحكم في أنه عيد لأهل عرفة، فلا يُستحب صومه لهم، قال: والدليل عليه الحديث الذي في "السنن" عنه أنَّه قال: يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام مئى، عيَّدنا أهل الإسلام.

قال شيئاً: وإنما يكون يوم عرفة عيداً في حق أهل عرفة لا جتمعاً بهم فيه، بخلاف أهل الأمصار فإنهم إنما يجتمعون يوم النحر، فكان هو العيد في حقهم، والمقصود أنَّه إذا انقض يوم عرفة ويوم الجمعة فقد انقض عيَّدان معاً.

السادس: أنَّ مُواافق ليوم إكمال الله تعالى بينه لعباده المؤمنين، وإنتم نعمتُه عليهم، كما ثبت في "صحيحة البخاري" عن طارق بن شهاب قال: جاء يهودي إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، آية تقرؤونها في كتابكم لو علينا مغتصر اليهود تزلت وتعلمت ذلك اليوم الذي تزلت فيه لأنكناه عيَّداً. قال: "أي آية؟" قال: اليوم أكملت لكم دينكم وأتمت علائقكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام بنياً [المادة: 3]. قال عمر

بُنُّ الْخَطَابِ: "إِنِّي لِأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَّلْتُ فِيهِ، وَالْمَكَانُ الَّذِي نَزَّلْتُ فِيهِ، نَزَّلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ بِعْرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ، وَنَحْنُ وَاقِفُونَ مَعَهُ بِعْرَفَةَ".

الشيخ:

السَّابِعُ: أَنَّهُ مُوَافِقُ لِيَوْمِ الْجَمْعَىِ الْأَكْبَرِ، وَالْمَوْقِفُ الْأَعْظَمُ، يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّ الْقِيَامَةَ تَقُومُ يَوْمَ الْجَمْعَةِ، كَمَا قَالَ النَّبِي ﷺ: حَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجَمْعَةِ، فِيهِ خُلُقُ آدَمَ، وَفِيهِ أَدْخَلُ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أَخْرَجَ مِنْهَا، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدُ سَلَّمٍ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيمَانًا؛ وَلَهُذَا شَرَعَ اللَّهُ عَبْدَهُ يَوْمًا يَجْمِعُونَ فِيهِ، فَيُدْكِرُونَ الْمُبْدَأَ وَالْمَعَادَ، وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَأَدَّهُرَ اللَّهُ تَعَالَى لِهَذِهِ الْأُمَّةِ يَوْمَ الْجَمْعَةِ، إِذَا فِيهِ كَانَ الْمُبْدَأُ، وَفِيهِ الْمَعَادُ؛ وَلَهُذَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي فَجْرِهِ سُورَتِي "السَّجْدَةُ" وَهُنَّ أُنَى عَلَى الْإِنْسَانِ لَا شَيْءَ لِهُمَا عَلَى مَا كَانَ، وَمَا يَكُونُ فِي هَذَا الْيَوْمِ مِنْ خَلْقِ آدَمَ، وَذِكْرِ الْمُبْدَأِ وَالْمَعَادِ، وَدُخُولِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَكَانَ يَدْكُرُ الْأُمَّةَ فِي هَذَا الْيَوْمِ بِمَا كَانَ فِيهِ وَمَا يَكُونُ، فَهَذَا يَدْكُرُ الْإِنْسَانَ بِأَعْظَمِ مَوَاقِفِ الدُّنْيَا - وَهُوَ يَوْمُ عَرَفَةَ - الْمَوْقِفُ الْأَعْظَمُ.

الشيخ: أَعْظَمُ مَوَاقِفِ الدُّنْيَا يَوْمُ الْجَمْعَةِ، وَأَعْظَمُ مَوَاقِفِ الْآخِرَةِ مَوْقِفُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ بِعِينِهِ، وَلَا يَتَنَصَّفُ حَتَّى يَسْتَقِرَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مَنَازِلِهِمْ، وَأَهْلُ النَّارِ فِي مَنَازِلِهِمْ.

الشيخ: كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ: أَصْنَاحُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقْرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا [الْفَرْقَانِ: 24]، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّ فِي وَقْفِ يَوْمِ الْجَمْعَةِ تَذْكِيرَ النَّاسِ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَالسَّاعَةُ تَقُومُ فِي يَوْمِ الْجَمْعَةِ، يَقُولُ ﷺ فِي يَوْمِ الْجَمْعَةِ: فِيهِ خُلُقُ آدَمَ، وَفِيهِ أَدْخَلُ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أَخْرَجَ مِنْهَا، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ.

فَيَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ بِمَوْقِفِ عِرْفَةِ وَبِاجْتِمَاعِ النَّاسِ يَوْمَ الْجَمْعَةِ يَتَذَكَّرُ الْمَوْقِفُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْإِعْدَادِ لِهَذَا الْيَوْمِ، وَمِنْ أَسْبَابِ الْإِسْتِقْدَامَةِ، وَالْبَعْدُ عَنِ الْمَحَرَّمِ اللَّهِ، وَالْتَّوْبَةِ مَا يُغَضِّبُهُ I.

وَفِي هَذَا الْاجْتِمَاعِ فِي يَوْمِ الْجَمْعَةِ وِيَوْمِ عِرْفَةِ، فِي هَذِينِ الْاجْتِمَاعِيْنِ اجْتِمَاعٌ كَامِلٌ لِأَهْلِ الدُّنْيَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ، فَهُؤُلَاءِ فِي بَلَادِهِمْ وَقَرْبَاهُمْ بِجَمْعِهِمْ لِصَلَاةِ الْجَمْعَةِ، وَالْحَجَاجُ يَجْتَمِعُونَ فِي الْمَوْقِفِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ وَيَتَضَرُّعُونَ إِلَيْهِ بَعْدِ الزَّوَالِ، فَصَارَ بِهِذَا الْاجْتِمَاعِ خَيْرٌ أَخْرَى لِمَنْ يَحْصُلُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الدَّارِ.

وَفِي قِرَاءَةِ السُّورَتِيْنِ تَذَكَّرُ بِهِذَا الْمُبْدَأِ وَالْمَعَادِ: سُورَةُ "السَّجْدَةِ"، وَسُورَةُ هُنْ أَنْثَى عَلَى الْإِنْسَانِ، وَفِيهِ الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقِرَاءَةَ بِالسَّجْدَةِ لِأَجْلِ السَّجْدَةِ، لَا، مَا هُوَ لِأَجْلِ السَّجْدَةِ، السَّجْدَةُ مُوجَدَةٌ فِي سُورَةِ كَثِيرَةٍ، لَكِنَّ الْمَقْصُودُ أَنَّ قِرَاءَةَ الْمُتَنَزِّلِ السَّجْدَةَ، وَهُنَّ أُنَى عَلَى الْإِنْسَانِ يَذَكُرُ الْمُبْدَأِ وَالْمَعَادِ: مِبْدًا خُلُقَ آدَمَ، وَأَنَّهُ خُلُقُ مِنَ التَّرَابِ، وَيَذَكُرُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْمَسِيرِ إِلَيْهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَكُونُ هَذَا مِنْ أَسْبَابِ نَشَاطِ الْعَبْدِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَقِيَامِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَإِعْدَادِهِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ.

س:؟

ج: خَلَفُ الْسَّنَةِ،، لَكِنَّهُ خَالِفُ الْسَّنَةِ، الْسَّنَةُ أَنْ يَقْرَأُ بِالْمُسْكَنِ الْمَسْجَدَ فِي الْأُولَى، وَهُنَّ أُنَى عَلَى الْإِنْسَانِ فِي الثَّانِيَةِ، نَعَمْ.

الثَّالِمُ: أَنَّ الطَّاعَةَ الْوَاقِعَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْجَمْعَةِ وَلِلْيَوْمِ الْجَمْعَةِ أَكْثَرُ مِنْهَا فِي سَابِرِ الْأَيَّامِ، حَتَّى أَكْثَرُ أَهْلِ الْأَجْوَرِ يَحْتَرُمُونَ يَوْمَ الْجَمْعَةِ وَلِلْيَوْمِ، وَبَيْرُونَ أَنَّ مَنْ تَجَرَّأَ فِيهِ عَلَى مَعَاصِي اللَّهِ عَجَلَ اللَّهُ عُغُوبَتُهُ وَلَمْ يُمْهَلْهُ، وَهُنَّ أَمْرٌ قَدْ اسْتَقَرَ عَنْهُمْ وَعَلِمُوا بِالْتَّجَارِبِ؛ وَذَلِكَ لِيُظْمِنُ الْيَوْمَ وَشَرِفَهُ عَنْدَ اللَّهِ، وَلَهُتْيَارُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَهُ مِنْ بَيْنِ سَابِرِ الْأَيَّامِ، وَلَا رَبِّ أَنَّ لِلْوَقْفَةِ فِيهِ مَزِيَّةٌ عَلَى غَيْرِهِ.

س:؟

ج: تَغْيِيرُ الْأَحْوَالِ فَرَصَةٌ لِلْفَسَادِ وَالْخُلُوِّ بِمَا حَرَمَ اللَّهُ، نَسَالُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، لَمَّا تَطَوَّرَتِ الْأَحْوَالُ وَصَارَتِ الْأَيَّامُ أَيَّامٌ عَمَلٌ فِي هَذِهِ الْبَلَادِ وَأَيَّامٌ عَمَلَ أَيْضًا فِي بَلَادٍ أُخْرَى

.....

الثَّالِسُ: أَنَّهُ مُوَافِقُ لِيَوْمِ الْمُزِيدِ فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ يَوْمُ الَّذِي يُجْمَعُ فِيهِ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي وَادِ أَفْيَعٍ، وَيُصَبَّ لَهُمْ مَنَابِرٌ مِنْ دَهَبٍ، وَمَنَابِرٌ مِنْ رَبَرَجَدٍ وَيَأْلُوتٍ عَلَى كُنْبَانِ الْمِسْنَكِ، فَيَنْتَهُونَ إِلَيْ رَبِّهِمْ تَبَارِكَ وَتَعَالَى، وَيَتَجَلَّ لَهُمْ فِي رَوْنَةِ عَيَّانَ، وَيَكُونُ أَسْرَهُمْ مُوَافِقًا أَعْجَلَهُمْ رَوَاحًا إِلَى الْمَسْجَدِ، وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ أَقْرَبَهُمْ مِنَ الْإِلَامِ، فَأَهْلُ الْجَنَّةِ مُشَتَّأْفُونَ إِلَى يَوْمِ الْمُزِيدِ فِيهَا؛ لِمَا يَتَالُونَ فِيهِ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَهُوَ يَوْمُ جُمُعَةٍ، إِذَا وَاقَقَ يَوْمُ عَرَفَةَ كَانَ لَهُ زِيَادَةٌ مَزِيَّةٌ وَأَخْتِصَاصٌ وَفَضْلٌ لَيْسَ لِغَيْرِهِ.

الشيخ: وهذا يدل على أنواع من المزايا ليوم الجمعة، إذا وافق الحج يوم الجمعة اجتمع عيدان، يوم المزيد اليوم الذي يجتمع فيه المؤمنون إلى ربهم في الجنة في كل أسبوع بمقدار يوم الجمعة، وليس هناك ليل ولا نهار، وكله يوم مطرد، ولكن لهم موعد مع ربهم في مقدار الأسبوع يجتمع فيه أهل الجنة إليه، إلى ربهم، وينكلم معهم، وينظرن إلى وجهه الكريم، ويحييهم، ويحصل لهم من الفضل العظيم والخير الكثير ما لا يُحصيه إلا الله ﷺ، وهو على منازل وعلى مراتب في دنوه من ربهم، ومجالسهم من ربهم جلّ وعلا، وكراسيهم التي يجلسون عليها أنواع معينة من الذهب والفضة والزبرجد وغير ذلك، وهذا يوم عظيم عند الله ﷺ، والله المستعان.

س:؟

ج: ورد فيه بعض الأحاديث، نعم.

العاشر: أَنَّهُ يَدْعُ الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَشِيَّةَ يَوْمِ عَرْفَةَ مِنْ أَهْلِ الْمَوْقِفِ، ثُمَّ يُبَاهِ بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هُؤُلَاءِ؟ أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ عَفَرْتُ لَهُمْ، وَتَحْصِلُ مَعَ تُؤْهِهِ مِنْهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاعَةُ الْإِجَابَةِ الَّتِي لَا يَرْدُ فِيهَا سَالِلًا يَسْأَلُ خَيْرًا، فَيَقُولُونَ مِنْهُ بِدُعَائِهِ وَالنَّصْرَعُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ السَّاعَةِ، وَيَقْرُبُ مِنْهُمْ ثَعَالَى ثَوْعِينَ مِنَ الْقُرْبِ: أَحَدُهُمَا: قُرْبُ الْإِجَابَةِ الْمُحَكَّمَةِ فِي ذَلِكَ السَّاعَةِ.

والثاني: قُرْبُهُ الْخَاصُّ مِنْ أَهْلِ عَرْفَةَ، وَمُبَاهَاتُهُ بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَتَسْتَشِعُ قُلُوبُ أَهْلِ الْإِيمَانِ هَذِهِ الْأُمُورُ فَتَرْدَادُ قَوَّةَ إِلَى قُوَّتِهَا، وَفَرَحًا وَسُرُورًا وَابْتِهَاجًا، وَرَجَاءً لِفَضْلِ رَبِّهَا وَكَرْمِهِ.

في هذه الوجوه وغيرها فنذكر وفقة يوم الجمعة على غيرها.

وأما ما استيقاض على ألسنت العوام بالآيات تعجل ثنتين وبسبعين حجة، فباطل لا أصل له عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من الصحابة والتابعين، والله أعلم.

الشيخ: وهذا بعض العادة يظن أن وقت الجمعة يعادل كذا وكذا من الحاجات، وهذا شيء لا أصل له، لا تعدل حجّة ولا غيرها، وإنما ذلك يوم مبارك وافق يوماً مباركاً، في يوم عرفة يوم عظيم، ويوم الجمعة يوم عظيم، فإذا وافق يوم الجمعة يوم عرفة اجتمع عيدان، واجتمع اجتماعاً عظيمان، وحصلت في ذلك اليوم ساعة لا يرد فيها السائل، آخر النهار، ويتحقق بهذا من الخير العظيم والفضل الكبير ما يرجى به للحجاج عظيم المثوبة، وتکفير السينات، ورفع الدرجات، والفوز بالجنت.

فصل

والمقصود أن الله ﷺ اختار من كل جنس من الجناس المخلوقات أطينيه، وأختصّه لنفسه وازتنائه دون غيره، فإنه تعالى طيب لا يحب إلا الطيب، ولا يقبل من العمل والكلام والصدقة إلا الطيب، فالطبيب من كل شيء هو مختاره تعالى.

وأما حفته تعالى فعام للتوين، وبهذا يعلم عنوان سعادة العبد وشفاؤته.

الشيخ: وربك يخلق ما يشاء ويخترى [القصص: 68]، خلق الجميع لحكمة عظيمة، واختار منهم ما يشاء: I: فاختار الأنبياء، واختار الرسل، واختار عباده المؤمنين من سائر الناس، وأصل غيرهم لحكمة بالغة، واختار من البقاع مكة، والحرم الشريف، وحرم المدينة، واختار من الشهور: شهر رمضان، وشهر ذي الحجة، وشهر محرم، واختار من أيام الأسبوع: يوم الجمعة، وأصله أفضل أيام الأسبوع، ثم يوم الخميس ويوم الاثنين، وجعلهما يوماً ترفع فيهما الأعمال إلى الله ﷺ، وهو I يخلق ما يشاء ويخترى جلّ وعلا، وله الحكمة البالغة I.

فإن الطيب لا يناسبه إلا الطيب، ولا يرضى إلا به، ولا يسكن إلا إليه، ولا يطمئن قلب إلا به، فله من الكلام الكلم الطيب الذي لا يصنع إلى الله تعالى إلا هو، وهو أشد شيء تقره عن الفحش في المقال، واللقطتين في اللسان والبداء والكتاب والعينة والتلميحة والبلهت وقول الرور، وكل كلام حبيبه.

وكذلك لا يألف من الأعمال إلا أطبيتها، وهي الأفعال التي اجتمعت على حسنهما الفطر السليمية مع الشرائع التووية، وركلتها الفقول الصحيحية، فائفق على حسنهما الشرع والعقل والفطرة، مثل: أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً، ويؤثر مرضاته على هواه، ويتحبب إليه جهدة وطاقته، وبحسن إلى حقيقة ما استطاع، فيفعل بهم ما يحب أن يتعلوا به ويعاملوه به، ويدعهم مما يحب أن يدعوه منه، وينصّهم بما يتصح به نفسه، ويحكم لهم بما يحب أن يحكم له به.

الشيخ: وهذا معنى الحديث الصحيح: يقول النبي ﷺ: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، هكذا المؤمن يحب لإخوانه الخير، ويكره لهم الشر، يحب لهم ما فيه سعادتهم، ويكره لهم ما فيه شقاوهم.

وَيَحْمِلُ أَذَاهُمْ، وَلَا يُحَمِّلُمْ أَذَاهُ، وَيُكَفِّ عَنْ أَغْرِاصِهِمْ، وَلَا يَقْبَلُهُمْ بِمَا نَالُوا مِنْ عَرْضِهِ، وَإِذَا رَأَى لَهُمْ سَيِّئًا كَتَمْهُ، وَبِقِيمَ أَعْدَارُهُمْ مَا اسْتَطَاعُ فِيهَا لَا يُبِطِلُ شَرِيعَةً، وَلَا يُنَاقِضُ اللَّهَ أَمْرًا وَلَا نَهِيًّا.

وَلَهُ أَيْضًا مِنَ الْأَخْلَاقِ أَطْبَيْهَا وَأَرْكَاهَا: كَالْجُلْمُ، وَالْوَقَارُ، وَالسَّكِينَةُ، وَالرَّحْمَةُ، وَالصَّبَرُ، وَالْوَقَاءُ، وَسُهُولَةُ الْجَانِبِ، وَلِينُ الْعَرِيكَةِ، وَالصِّدْقُ، وَسَلَامَةُ الصَّنْدَرِ مِنَ الْعَنْلَ وَالْعَنْشَ وَالْحَقْدَ وَالْحَسَدَ، وَالثَّوَاضُ، وَخَضْنُ الْجَنَاحِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، وَالْعَرَّةُ وَالْأَنْلَاظَةُ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ، وَصِيَانَةُ الْوَجْهِ عَنْ بَنْلِهِ وَتَنْلِلِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَالشَّجَاعَةُ، وَالسَّخَاءُ، وَالْمَرْءَةُ، وَكُلُّ خُلُقٍ اتَّقَثَ عَلَى حُسْنِهِ الشَّرَائِعُ وَالْفِطْرُ وَالْعَوْنُ.

وَكَذَلِكَ لَا يَخْتَارُ مِنَ الْمَطَاعِيمِ إِلَّا أَطْبَيْهَا، وَهُوَ الْحَالُ الْهَنِيءُ الْمُتَرِيءُ الْيُعْذَى الْبَدَنَ وَالرُّوحُ أَحْسَنَ تَغْدِيَةً، مَعَ سَلَامَةِ الْعَبْدِ مِنْ تَبْعِتِهِ. وَكَذَلِكَ لَا يَخْتَارُ مِنَ الْمَنَاكِحِ إِلَّا أَطْبَيْهَا وَأَرْكَاهَا، وَمِنَ الرَّاِحَةِ إِلَّا أَطْبَيْهَا وَأَرْكَاهَا، وَمِنَ الْأَصْحَابِ وَالْعُشَرَاءِ إِلَّا الطَّيَّبِينِ مِنْهُمْ، فَرُوحُهُ طَيْبٌ، وَبَدْنُهُ طَيْبٌ، وَخَلْفُهُ طَيْبٌ، وَعَمَلُهُ طَيْبٌ، وَكَلَامُهُ طَيْبٌ، وَمَشْرُبُهُ طَيْبٌ، وَمَلْبُسُهُ طَيْبٌ، وَمَنْكُحُهُ طَيْبٌ، وَمَدْخُلُهُ طَيْبٌ، وَمَخْرُجُهُ طَيْبٌ، وَمُمْلَكَتُهُ طَيْبٌ، وَمَنْوَاهُ كُلُّهُ طَيْبٌ.

فَهَذَا مَمْنَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: الَّذِينَ تَنَوَّفَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيَّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [النَّحْل: 32]، وَمَمْنَ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَهُمْ حَرَّتَهُ الْجَنَّةُ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبَّئُمْ فَادْخُلُوهَا حَالِيْنَ [الزَّمْر: 72]، وَهَذِهِ الْفَاعِلَةُ تَقْتَضِي السَّبَبَيْتَ، أَيْ: يُسْبِبُ طَبِّيْكُمْ ادْخُلُوهَا.

وَقَالَ تَعَالَى: الْخَيَّثَاتُ لِلْخَيَّثِينَ وَالْخَيَّبُونُ لِلْخَيَّبَاتِ وَالْطَّيَّبَاتُ لِلْطَّيَّبِينَ وَالْطَّيَّبُونُ لِلْطَّيَّبَاتِ [النُّور: 26]، وَقَدْ فَسَرَتِ الْأَيْةُ بِأَنَّ الْكَلْمَاتِ الْخَيَّثَاتِ لِلْخَيَّثِينَ، وَالْكَلْمَاتِ الْطَّيَّبَاتِ لِلْطَّيَّبِينَ.

وَفَسَرَتِ بِأَنَّ النِّسَاءَ الْطَّيَّبَاتِ لِلرِّجَالِ الْخَيَّبِينَ، وَالنِّسَاءَ الْخَيَّبَاتِ لِلرِّجَالِ الْخَيَّثِينَ، وَهِيَ تَعُمُّ ذَلِكَ وَغَيْرَهُ، فَالْكَلْمَاتُ وَالْأَعْمَالُ وَالنِّسَاءُ الْطَّيَّبَاتُ لِمَنْاسِبِهَا مِنَ الْخَيَّبِينَ، وَالْكَلْمَاتُ وَالْأَعْمَالُ وَالنِّسَاءُ الْخَيَّبَاتُ لِمَنْاسِبِهَا مِنَ الْخَيَّثِينَ، فَاللَّهُ أَجْعَلَ الْطَّيَّبَ بِخَدَافِيرِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَجَعَلَ الْخَيَّثَ دَارِيًّا فِي التَّارِ، فَجَعَلَ الدُّورَ تَلَائِهَ.

دَارًا أَخْلَصَتُ لِلْطَّيَّبِينَ، وَهِيَ حَرَامٌ عَلَى غَيْرِ الْطَّيَّبِينَ، وَقَدْ جَمَعَتْ كُلَّ طَيْبٍ، وَهِيَ الْجَنَّةُ.

وَدَارًا أَخْلَصَتُ لِلْخَيَّثِ وَالْخَيَّبَاتِ، وَلَا يَدْخُلُهَا إِلَّا الْخَيَّبُونَ، وَهِيَ التَّارِ.

وَدَارًا امْتَرَاجٌ فِيهَا الْطَّيَّبُ وَالْخَيَّثُ، وَخُلِطَ بَيْنَهُمَا، وَهِيَ هَذِهِ الدَّارُ.

الشيخ: يعني: دار الدنيا، الدنيا اجتمع فيها الخبيث والطيب، والصالح والطالع، المؤمن والكافر والمنافق وغيرهم، ولكن في الآخرة يتميزون، فالجنة للطبيبين، والنار للخبيثين، نسأل الله العافية.

وَلَهُذَا وَقَعَ الْبَتَلَاءُ وَالْمَخْنَةُ بِسَبَبِ هَذَا الْأَمْتَرَاجُ وَالْأَخْتَلَاطُ، وَذَلِكَ بِمُوجَبِ الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ مَعَادِ الْخَلِيقَةِ مِيزَ اللَّهِ الْخَيَّثُ مِنَ الْطَّيَّبِ، فَجَعَلَ الْطَّيَّبَ وَأَهْلَهُ فِي دَارٍ عَلَى حَدَّ لَا يُخَالِطُهُمْ غَيْرُهُمْ، وَجَعَلَ الْخَيَّثَ وَأَهْلَهُ فِي دَارٍ عَلَى حَدَّ لَا يُخَالِطُهُمْ غَيْرُهُمْ.

الشيخ: الطيب في الإيمان وما يتعلق به، وأهله المؤمنون، والخبث: الكفر والتفاق وما يتعلق به.

فَجَعَلَ الْطَّيَّبَ وَأَهْلَهُ فِي دَارٍ عَلَى حَدَّ لَا يُخَالِطُهُمْ غَيْرُهُمْ، وَجَعَلَ الْخَيَّثَ وَأَهْلَهُ فِي دَارٍ عَلَى حَدَّ لَا يُخَالِطُهُمْ غَيْرُهُمْ، فَعَادَ الْأَمْرُ إِلَى دَارَيْنِ فَقَطْ: الْجَنَّةُ، وَهِيَ دَارُ الْطَّيَّبِينَ. وَالْتَّارِ، وَهِيَ دَارُ الْخَيَّثِينَ.

وَأَنْشَأَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَعْمَالِ الْقَرِيبَيْنِ ثَوَابَهُمْ وَعَقَابَهُمْ، فَجَعَلَ طَبَّيَاتَ أَقْوَالَ هُؤُلَاءِ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ هِيَ عَيْنُ نَعِيمِهِمْ وَلَدَائِهِمْ، أَنْشَأَ لَهُمْ مِنْهَا أَكْمَلَ أَسْبَابَ النَّعِيمِ وَالسُّرُورِ، وَجَعَلَ خَيَّيَاتَ أَقْوَالِ الْأَخْرَيِنِ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ هِيَ عَيْنُ عَذَابِهِمْ وَلَأْمَاهِمْ، فَانْشَأَ لَهُمْ مِنْهَا أَعْظَمَ أَسْبَابَ الْعِقَابِ وَالْأَلَامِ؛ حَكْمَةً بِالْعَلَّةِ، وَعَرَّةً بِالْهَرَّةِ قَاهِرَةً، لِيُنْرِي عِبَادَةَ كَمَالِ رُبُوبِيَّتِهِ، وَكَمَالَ حَكْمَتِهِ وَعَدْلَهُ وَرَحْمَتِهِ، وَلِيَعْلَمَ أَعْدَاؤُهُ أَنَّهُمْ كَائِنُوا هُمُ الْمُفْتَرِينَ الْكَذَابِينَ، لَا رُسْلَةُ الْبَرَّةِ الصَّادِقُونَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَنْبَغِثُوا إِلَيْهِ مِنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَكَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ○ لِيُبَيَّنَ لَهُمُ الْأَذِيَّ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمُ الْأَذِيَّ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ [النَّحْل: 38-39].

الشيخ:

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ أَجْعَلَ لِلسَّعَادَةِ وَالشَّفَاءِ عُنُوانًا يُعْرَفُانِ بِهِ: فَالسَّعِيدُ الْطَّيَّبُ لَا يَلِيقُ بِهِ إِلَّا طَيْبٌ، وَلَا يَصْدُرُ مِنْهُ إِلَّا طَيْبٌ، وَلَا يَلَبِسُ إِلَّا طَيْبًا. وَالشَّقِيقُ الْخَيَّثُ لَا يَلِيقُ بِهِ إِلَّا الْخَيَّثُ، وَلَا يَأْتِي إِلَّا خَيَّثًا، وَلَا يَصْدُرُ مِنْهُ إِلَّا الْخَيَّثُ، فَالْخَيَّثُ يَتَفَجَّرُ مِنْ قَلْبِهِ الْطَّيَّبِ عَلَى لِسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ.

وَقَدْ يَكُونُ فِي الشَّخْصِ مَادَّانِ، فَإِلَيْهِمَا غَلَبَ عَلَيْهِ كَانَ مِنْ أَهْلِهَا.

الشيخ: وهذا واقع على الناس؛ فإنَّ المؤمن الصادق لا يصدر منه إلا الخير: بقوله وأفعاله، هو نافع للناس بأقواله وأفعاله، ولا يصدر منه إلا الطيب والخير والنفع العام والخاص، والكافر بضد ذلك، نعوذ بالله: شُرٌّ وبلاء، وإن صدر منه خيرٌ لبعض الناس من مساعدةٍ أو غير ذلك من وجوه النفع الديني فهو مغفورٌ بالشَّرِّ الآخر والبلاء الآخر في دينه وفي أخلاقه.

وقد يكون في الإنسان مادتان: مادة إيمان وتفوى، يصدر منها الخير في بعض الأحيان، وقد تكون فيه مادة الفحور والمعاصي، فتصدر منه بعض الأحيان شُرٌّ وبلاء على الناس بسبب المادة الخبيثة التي فيه، وهذا هو العاصي المبعض الذي فيه إيمان وفيه معاصٍ، فتارةً تغلب عليه مادة الخير وينفع ويتكلم بالحق، وتارةً تغلب عليه المادة الأخرى الخبيثة فيضرّ ويتكلم بالشرّ.

وقد يكون في الشخص مادتان، فائيها غالب عليه كأنَّ من أهلهما، فإنَّ أراد الله به خيراً طهراً من الماء الحبيبة قبل الموافقة، فليُؤفِّيه يوم القيمة مطهراً، فلا يحتاج إلى تطهيره بالنار، فتطهيره منها بما يُوفِّقه له من التوبة النصوح، والحسنات الملاحية، والمحاسن المكفرة، حتى يلقي الله وما عليه خطيئة، ويمسح عن الآخر مواد التطهير، فليُؤفِّيه يوم القيمة بمادة حبيبة، ومادة طيبة، وحكمته تعالى أن يخاورة أحد في داره بخبايه، فيدخله النار طهراً له، وتصفية وسبباً، فإذا خلصت سببها إيمانه من الخبث صلح حبيبه لجواره ومساكنه الطيبين من عباده.

وإقامته هذا النوع من الناس في النار على حساب سُرعة زوال تلك الخبات منهم وبطئها، فأشعرُهم زوالاً وتطهيرًا أسرعُهم خروجاً، وأبطأُهم أبطاؤهم خروجاً: جزاء وفاقاً [النبا: 26]، [وما ربك بظلام لغبيده] [فصلت: 46].

الشيخ: وهذا من كمال حكمته [إ]، وكمال عده بعباده، ومن فضله وجوده على الكثير منهم، فإنَّ العبد إذا كانت فيه مادتان: مادة الإيمان والتفوى: بها يصلى، وبها يحج، وبها يصوم، وبها يدعوا إلى الله، وبها يفعل الخير. وبها مادة أخرى من مواد الفجور: كالزنا، والربا، أو أشياء من المعاصي الأخرى؛ فإنَّ أراد الله به خيراً أدركه بالتوبة، ومنْ علىه بالتوبة، فلائق الله وهو طيب سليم، قد أزال الله عنه مادة الشر بالتوبة النصوح، وإن خلَّ بيته وبين نفسه ومات على المادة الخبيثة، فهو تحت مشيئة الله [ج]: إن شاء غفر له بمادة الإيمان التي معه والتفوى، وإن شاء عذبه في النار حتى يُطهره من هذه المادة الخبيثة بالنار.

وهم في النار على أقسامٍ، وعلى طبقات، على حساب مواد الخبث، فكلما كانت المعاصي أكثر صار مكتئف في النار أكثر، وكلما كانت المعاصي أقلَّ صار صاحبها أسرع خروجاً منها إلى الجنة، جاء في الحديث: منهم من تأخذه النار إلى كعبية، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حُجزته، ومنهم لا يُدعونَ مع الله إليها آخر ولا يُغلوّنَ النفس التي حرَم الله إلا بالحق ولا يُرثُونَ

وهم في النار أيضاً على أقسامٍ في المدة: في طولها، وعدم طولها، حتى إنَّ بعضهم يخلد، يعني: يُقيم إقامةً طويلةً: كالزناء، وقتل النفس بغير حق، والقاتلين لأنفسهم ولغيرهم بغير حق، هؤلاء مخلدون خلوداً في النار ليس بمستمرٍ، بل يُقيمون فيها إقامةً طويلةً، لعظم معاصيهم وكبرها، نسأل الله العافية، كما قال جلَّ وعلا فيهم: والذين لا يدعونَ مع الله إليها آخر ولا يغلوّنَ النفس التي حرَم الله إلا بالحق ولا يرثُونَ ومنْ يفعُل ذلك يلْقَ أثاماً [يُضاعف لـه العذاب يوم القيمة ويُخَلَّـه فيه مهاناً] [الفرقان: 68-69].

ذكر الله لهم الخلود: للمشرك، والمقاتل، والزاني، خلود المشرك هذا مستمر أبداً أبداً، نعوذ بالله، لا ينتهي، أما خلود الزاني الذي لم يستحل الزنا، والمقاتل الذي لم يستحل القتل، بل يعلم أنَّ القتل حرام، والزنا حرام، ولكن غلبه الهوى، فهذا خلود مؤقت.

وهكذا قوله جلَّ وعلا: ومنْ يَقْتُلُ مُؤْمِناً مُعَمِّداً فَجَرَأْهُ جَهَنَّمَ حَالِـاً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَ لَهُ عَذَاباً عَظِيمَاً [النساء: 93]، هذا الخلود مؤقت، إلا إذا كان مستحلاً للقتل، لا يُبالي بدماء المسلمين، ويرى أنها حلال له، فهذا مثل الذي يستحل الزنا والسرقة، حكمه حكم الكفرة، نعوذ بالله، يكون خلوده مستمراً فيها، لكن من فعل هذه المعاصي وهو يعلم أنها معاصٍ، ولكنه حمله الهوى، فهذا إذا دخل النار يُخلد فيها خلوداً مؤقتاً، ليس من جنس خلود الكفار، بل هو خلود له نهاية، نسأل الله السلام.

.....

ولَمَّا كَانَ الْمُشْرِكُ حَبِيبُ الْعُنْصُرِ، حَبِيبُ الدَّاتِ، لَمْ تُطْهِرِ النَّارُ حَبِيبَهُ، بَلْ لَوْ خَرَجَ مِنْهَا لَعَادَ حَبِيبًا كَمَا كَانَ: كَأَكْلِبِ إِذَا دَخَلَ الْبَحْرَ ثُمَّ حَرَجَ مِنْهُ؛ فَلِذَلِكَ حَرَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُشْرِكِ الْجَنَّةَ.

ولَمَّا كَانَ الْمُؤْمِنُ الطَّيِّبُ مُرَءًا مِنَ الْجَبَائِثِ كَانَتِ النَّارُ حَرَاماً عَلَيْهِ؛ إِذْ لَئِنْ فِيهِ مَا يُقْضِي تَطْهِيرَهُ بِهَا.
فَسُبْحَانَ مَنْ بَهَرَتْ حِكْمَتُهُ الْعُقُولُ وَالْأَلْبَابُ! وَشَهَدَتْ فِطْرُ عِبَادِهِ وَعُوْلَمُهُ بِأَنَّهُ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، وَرَبُّ الْعَالَمِينَ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

صلٌ

وَمِنْ هَاهُنَا نَتَلَمُ اضطِرَارَ الْعِبَادِ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ إِلَى مَعْرِفَةِ الرَّسُولِ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَتَصْدِيقَهُ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ، وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ، فَإِنَّهُ لَا سَبِيلٌ إِلَى السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآجَزَةِ إِلَّا عَلَى أَيْدِي الرَّسُولِ، وَلَا سَبِيلٌ إِلَى مَعْرِفَةِ الطَّيِّبِ وَالْخَبِيثِ عَلَى النَّفَصِيلِ إِلَّا مِنْ جَهَنَّمِ،

وَلَا يُنَالُ رَضَا اللَّهِ الْبَتَّةُ إِلَّا عَلَى أَيْدِيهِمْ، فَالظَّبْطُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَخْلَاقِ لَيْسَ إِلَّا هَدِيهِمْ وَمَا جَاءُوا بِهِ، فَهُمُ الْمُبِيزُونَ الرَّاجِحُ الَّذِي
عَلَى أَفْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ تُوزَنُ الْأَقْوَالُ وَالْأَخْلَاقُ وَالْأَعْمَالُ، وَبِمُتَابِعَتِهِمْ يَتَمَيَّزُ أَهْلُ الْهُدَى مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ، فَالضَّرُورَةُ إِلَيْهِمْ أَعْظَمُ
مِنْ ضَرُورَةِ الْبَدْنِ إِلَى رُوحِهِ، وَالْعَيْنُ إِلَى نُورِهِ، وَالرُّوحُ إِلَى حَيَاتِهَا، فَأَيُّ ضَرُورَةٍ وَحَاجَةٍ فَرُضَتْ فَضَرُورَةُ الْعَبْدِ وَحَاجَتُهُ إِلَى الرُّسُلِ
فَوْقَهَا بِكَثِيرٍ.

الشيخ: لأنَّ ضرورته إلى نفسه أو عينه أو سمعه ضرورة لها دواء، ولها علاج، ونهايتها الموت، والموت لا بدَّ منه، لكن ضرورته إلى
أتباع الرسل وما جاءوا به فيها الحياة الأبدية، فمن لم يعرف الرسل، ولم يعرف ما جاءوا به، ولم ينقد لهم، ولم يتبعهم؛ هلك كلَّ الهلاك،
نَسَأَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَمَا ظُلِّكَ بِمَنْ إِذَا غَابَ عَنْكَ هَدِيهِ وَمَا جَاءَ بِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ فَسَدَ قَلْبَكَ، وَصَارَ كَالْحُوتِ إِذَا فَارَقَ الْمَاءَ وَوُضِعَ فِي الْمِقْلَةِ، فَهَلُّ الْعَبْدُ عَنْ
مُقْارَفَةٍ قَلْبِهِ لِمَا جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ كَهْنَهُ الْخَالِ، بَلْ أَعْظَمُ، وَلَكِنْ لَا يُجْسُدُ بِهَذَا إِلَّا قَلْبُ حَيٍّ؛ وَمَا لِجُرْجُ بِمَيِّتٍ إِلَّا مِنْ.

وَإِذَا كَانَتْ سَعَادَةُ الْعَبْدِ فِي الدَّارَيْنِ مُعْلَقَةً بِهَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ نَصَحَّ نَفْسَهُ وَأَحَبَّ نَجَاتَهَا وَسَعَادَتَهَا أَنْ يَعْرِفَ
مِنْ هَدِيهِ وَسِيرَتِهِ وَشَانِهِ مَا يَجْرُجُ بِهِ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَيَدْخُلُ بِهِ فِي عِدَادِ أَتَبِاعِهِ وَشَيْعَتِهِ وَحِزْبِهِ، وَاللَّا سُ فِي هَذَا بَيْنَ مُسْتَقْلٍ وَمُسْتَكْثِرٍ
وَمُخْرُومٍ، وَالْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مِنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.









